وقال أيضًا :

وَابْن اللَّبونِ إذا ما لَزَّ في قرنٍ لَمْ يَستَطِعْ صَولَةَ البُزْلِ القَناعيسِ

« فانظر إلى صلابة هذا الكلام ، والفرزدق يجري على طريقة واحدة ، والتصرُّف في الوجوه أبلغ .» (١)

ومما يزيد هذين المصطلحين غموضًا أن أبا هلال جعل الجزالة مسألة نِسْبِيَّة ، بحيث يمكن أن نقول عن صياغة إنها جزلة بالقياس إلى صياغة أخرى ، دون نظر إلى الغرض الذي يحتويه الكلام ، بل ربما كان الغرض واحدًا . فأبو نُواس يقول :

قُلْ لِذي الوَجْهِ الطَّرِيرِ وَلِذي الرِّدْفِ الوَتيرِ
وَلِمِغْلاقِ هُمومي وَلِمفْتاحِ سُروري
يا قَليلاً في التَّلاقي وَكَثيراً في الضَّميرِ

والصياغة عنده تتميز – كما يقول أبو هلال – بالسلاسة والسهولة ، ثم يورد أبياتا أخرى لأبي نواس هي :

ما هَوًى إلا لَهُ سَبَبُ يَبْتدي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قَلْبي مُحَجَّبَةٌ بِرِداءِ الحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خُلِّيَتْ وَالحُسْن تَأْخُذُهُ تَنْتَقي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فانْتَقَتْ مِنْهُ طَرائِفَهُ وَاسْتزادت فَضْلَ ما تَهِبُ
صارَ جِدًّا ما مَزَحْتُ بِهِ وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ اللَّعِبُ

(١) أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ص ٢٥ .